

كلمة

الحاخام ديفيد روزن

المدير الدولي لشؤون بين أتباع الأديان في اللجنة اليهودية الأمريكية.

مدير معهد هايلبرون للتفاهم الدولي بين أتباع الأديان -

الولايات المتحدة الأمريكية



بالنسبة لأهل الدين ، العالم من حولنا ليس فقط بيتنا المشترك ، لكنه قبل كل شيء هو الخلق وتجلي الخالق والوجود الإلهي في عالمنا . ومن بين الكتابات المقدسة ، ربما يعطي سفر المزامير أروع التعبيرات عن هذه الحقيقة .

لقد كتب الحاخام يهوذا لوي ، أحد كبار الحاخامات في القرن السادس عشر في مدينة براغ : -«محبّة المخلوقات والخلقة هي محبة الله . من يحب الله الواحد ، يحب كل أعماله التي خلقها . ومن لا يحب أعماله لا يمكن أن يكون حبه له حقيقياً» . (نتيفوت أولام)

ويعلن الكتاب المقدس العبري أن الإنسان الذي خلقه الله في صورة إلهية يأتي على رأس تلك الخليقة التي تشهد على الوجود الإلهي في العالم وأن الدور الخاص الصريح الذي يقوم به الإنسان في الخليقة قد جاء في الآية الواردة في سفر التكوين 2: 15 «وَأَخَذَ الرَّبُّ الإلهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةٍ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا» . وفي ضوء ما سبق ، يجب أن ننظر إلى هذا الأمر ، على أنه ليس فقط حفظ وتنمية مستدامة لخليقة الله ، ولكن كتعبير حقيقي عن محبة الله . وبالتالي ، فإنه يجب علينا أن ننظر إلى أن حماية بيتنا من أجل رفاهيتنا ومن أجل الأجيال القادمة ضرورة دينية من الدرجة الأولى .

ولم يكن هذا أكثر إلحاحاً من أي وقت مضى . إننا نرى اليوم حرائق الغابات المدمرة والفيضانات الهائلة وما إلى ذلك من الأمور التي أصبحت تقع على نطاق لم يسبق له مثيل ؛ بل إننا نرى أيضاً تدهور عالمنا

الطبيعي بشكل كبير بسبب الجشع والطمع، الذي يهدد وجودنا ذاته على هذا الكوكب.

والمبدأ الرئيسي في الفقه اليهودي فيما يتعلق بمسؤولية الإنسان تجاه البيئة مستمد من التحريم الخاص الوارد في سفر التثنية الإصحاح 20، الآية 19، الذي يحظر قطع الأشجار المثمرة لاستخدامها كأسلحة حتى وإن كان ذلك في سبيل الدفاع عن النفس.

وقد خلص حكماء التلمود قبل ألفي عام إلى أنه من الأحرى إن كانت هناك حرب تتعرض فيها الحياة البشرية للخطر فإنه يحرم قطع الأشجار المثمرة؛ وفي ظل الظروف العادية، يحرم تدمير أي شيء يوفر القوات ويعتبر ذلك أمراً أكبر فحشاً، بل إنهم يوسعون نطاق التحريم ليشمل أي شيء يمكن أن يكون ذا فائدة وقيمة.

ويشمل هذا التوسع في الحكم تحريم أي تدمير وحشي (تلمود، كتاب كيدوشين، الفقرة 32أ) وأي نوع من الإسراف (تلمود، بيراخوت، الفقرة 52ب)، والإفراط في التباهي والانغماس في الترف (تلمود، كتاب هيلين، الفقرة 7ب؛ كتاب شاباث، الفقرة 140ب). وقد أشار البابا فرنسيس إلى كيف أن حضارتنا الحديثة المزعومة قد أسفرت عن «ثقافة النفايات»، وما يعد أكبر هدر على الإطلاق في العالم المتقدم هو إهدار الطعام، في حين يقاسي الملايين المجاعة والجفاف في أماكن أخرى من العالم.

وقد خلصت دراسة حديثة إلى أن الشخص العادي في الغرب يحتاج إلى 100 فدان من المساحة المنتجة بيولوجياً لدعم استهلاكه السنوي للغذاء

والماء والطاقة والموارد الأخرى . غير أن توزيع هذه المساحة بالتساوي يبين أنه لا يوجد سوى 15 فدانا من الأراضي المنتجة لكل واحد من 6,5 مليار شخص على وجه الأرض . وهذا يعني أن المواطن الغربي العادي يستهلك أكثر من سبعة أضعاف حصته من قدرة الأرض . وحاصل ضرب هذا الرقم في مئات الملايين من الناس يبرز الخسائر البيئية البشرية في منظور أفضل . وفي حين أن هذه الحقائق تواجه الحوكمة العالمية فضلاً عن السلطات الوطنية فإننا كمجتمعات وعائلات وأفراد نواجه أيضاً تحديات من حيث أنماط حياتنا وسلوكنا .

ومن الجدير بالذكر في هذا الصدد، أن النظام الغذائي القائم على النبات ليس فقط استجابة مهمة لإشكالية استغلال الحياة الواعية، والتدهور البيئي، والكثير من الأمراض البشرية؛ بل فيه تخفيض لاستهلاك اللحوم وهو ضروري للغاية في المجتمعات المتقدمة النمو من أجل الحد من الإهدار المؤسف الذي يأتي على حساب أجزاء أخرى من العالم . على سبيل المثال، يستغرق إنتاج كيلو من اللحم البقري 17 ضعف كمية الماء المستخدمة في إنتاج كيلو من الحبوب . إن إعادة التوجيه الحكيم والمسؤولة والاستفادة المثلى من الموارد يمكن أن تمكننا من معالجة معظم مشكلات الجوع والفقر المؤسفة التي تصيب كوكبنا . ولا يمكن لأعضاء الأسرة البشرية المسؤولين أخلاقياً أن يتجاهلوا هذا الظلم السائد على نطاق عالمي . وبالطبع، لا يمكننا تصحيح هذا بمفردنا؛ لأن هذا شيء يجب أن نطلبه من حكوماتنا ومنظماتنا الدولية . ومع ذلك، يمكننا

بل ويجب علينا أن نكون مثالا يحتذى به؛ لأن دياناتنا في الواقع تمجد أسلوب الحياة المتواضع الذي تعلمنا تجنب الإسراف والتبذير. ويجب أن يضرب القادة الدينيون والعلماء المثل في ذلك قبل غيرهم. إننا حين نظهر هذا المثل في سلوكنا، فإننا نفي بواجبنا الديني الذي تفرضه علينا اليهودية باسم «تقديس الاسم الإلهي في العالم».

ثم هناك التهديدات الصحية التي أثبتت، كما في حالة كوفيد 19، أنها ناتجة عن كل من التدهور البيئي وغزو الموائل الحيوانية، والتي ترتبط أيضا بأنماط حياة المجتمعات الأكثر ثراء وبعاداتها الغذائية.

إن صناعة الثروة الحيوانية واستخدامها الواسع النطاق للهرمونات والمضادات الحيوية المحتفظ بها في المنتجات والتي يتم انتقالها أثناء الاستهلاك البشري لا تسبب الأضرار في حد ذاتها فحسب، بل إنها ترتبط أيضا ارتباطا وثيقا بالأوبئة التي مررنا بها وما زلنا نختبرها، والتي تنتج بشكل كبير عن سوء السلوك البشري وعدم المسؤولية فيما يتعلق بعالم الكائنات الحية.

وعلاوة على ذلك، فإن صناعة الثروة الحيوانية وإنتاج المنتجات الغذائية الحيوانية هي السبب الرئيسي للاحتباس الحراري العالمي، كما أظهرت دراسات الأمم المتحدة ومجلة لانسييت. وهذه الصناعات التي تلبى احتياجات الإنسان المفرطة من الطعام تسبب تلوثا أكبر بكثير من التلوث الذي تحدثه جميع أشكال وسائل النقل مجتمعة، وهي السبب الرئيسي لإهدار المياه والأراضي والموارد الأخرى.

إن أي أخلاقيات دينية جادة تتعلق برعاية بيتنا المشترك تستوجب منا أن نخفض المنتجات الغذائية الحيوانية أو أن نتخلى عنها تماما إن أمكن، وأن نعتمد نظاما غذائيا يقوم على النبات قدر الإمكان.

والفشل في القيام بذلك يفضح أي تعليقات ذات طابع ديني بشأن مسؤوليتنا عن البيئة كما يبين أن مثل هذه التعليقات بها خلل شديد للغاية.

تحكي عظة حاخامية قديمة عن أشخاص في قارب تجديف ويبدأ أحدهم في إحداث ثقب تحت مقعده. وردا على احتجاجات الآخرين، يقول: «لكن هذا هو مقعدي. أنا لا أفعل ذلك تحت مقاعدكم»؛ وبالطبع، يقول الآخرون «لكننا جميعا في نفس القارب. ما تفعله تحت مقعدك يؤثر علينا جميعا وسنغرق جميعا!»

إن بإمكاننا الآن أكثر من أي وقت مضى أن نرى كم نحن جميعا في نفس القارب اليوم. إن مسؤوليتنا هي مسؤولية مباشرة تتعلق بوجودنا في حد ذاته تجاه بعضنا البعض، وتجاه الأجيال القادمة، وتجاه الإنسانية. ولكن يجب ألا ننسى أن مسؤوليتنا تجاه بيتنا المشترك هي مسؤولية تجاه الخليقة نفسها وتجلي الوجود الإلهي والعناية الإلهية في العالم. وبالتالي فإن درجة العناية الحقة برفاهية بيتنا المشترك هي نفس الدرجة الحقة التي نحب بها الله، خالق العالم.

